انتشرت الإسماعيلية (في إيران والعراق وبلاد الشام وقد حظوا بتأييد الكادحين في المدن وبعض النجاحات في أوساط الفلاحين والبدو)[١٧٨] وادعى خليفتهم عبد الله أنه ينتسب لفاطمة ابنة الرسول، وبالتالي أسموا بالفاطميين وسيطروا على مصر وشمال أفريقيا. وفي بدايات دعوتهم حجبوا أسرارهم إلى أن اشتد ساعدهم، سيما أنهم (ادعوا أن للقرآن معنى باطنياً لا يعرفه سوى الأئمة، وان هناك سبعة أنبياء فقط هم ادم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد واسماعيل، الأمر الذي يدخل في عداد الهرطقة من وجهة نظر إسلامية.)[١٧٩]

أما الحشاشون فترجع أصولهم إلى القرن الحادي عشر في بلاد فارس وزعيمهم هو حسن الصباح الذي اختار قلعة على جبل شاهق، لم تنفك آثارها قائمة، مركزاً استراتيجياً له. وتتحدث الروايات أنه اعتكف في قلعته ثلاثين عاماً لم يظهر خارجها سوى مرتين. وقد ربى أتباعه على الطاعة العمياء والثقة بالإمام القائد، إلى درجة أن يرحبوا بالموت أثناء قيامهم بالاغتيالات سواء ضد الأمراء الفرنجة أو الحكام المسلمين.

لقد انعزلوا في مناطق نائية آمنة أسسوا فيها مزارعهم الجبلية، وتعبؤوا بمعتقداتهم، وتدربوا على القتال إلى أن سقطت قلاعهم المحصنة في أيدي المغول. وأكثر ما ميّزهم هو طاعة القائد والاستعداد للتضحية بكل شيء وكتم الأسرار، والاغتيالات كانت نهجهم الأساس.

٣- القرامطة

تأسست حركتهم السرية حسب بولص فرح (إبان ثورة الزنج، وقد توسعت بعد أن انضم لها فقراء البلاد والفلاحون والحرفيون في البحرين والعراق وخراسان واليمن وبلاد الشام... رفعوا شعارات اشتراكية نادت بالملكية الجماعية، وأدخلوا نظام توزيع المواد الاستهلاكية بالتساوي، وأقاموا وجبة الإخاء، والحكومة تولت الشؤون التجارية، ولم يفرضوا الضرائب على مواطني دولتهم، أما القرمطي فيدفع خُمس دخله السنوي للخزينة العامة... وكانوا يمدون المحتاجين من الزراع والصناع بالقروض.

أشعل القرامطة ثورتهم في البحرين عام ٨٩٤م ثم امتدت حركتهم إلى الإحساء التي أعلنوها عاصمة لهم، وعاشت دولتهم نحو ١٥٠ سنة، وواصلوا كفاحهم في بلاد الشام وحاصروا دمشق في القرن العاشر، واعترفوا بالإسماعيلية زعامة لهم.

---

١٧٨) فرح، بولص. مقدمات في تاريخ العرب الاجتماعي. شركة الكتاب العربي. ١٩٧١. ص١٩٢

١٧٩) ماكينزي، نورمان. الجمعيات السرية. مجموعة مؤلفين. دار الشروق ١٩٩٩ ص١٠٧